





فقد أصبحت معسكر مركزا قياديا جديدا و مهما في مواجهة أبشع الحملات الصليبية إتجاه المغرب الأوسط، وكثرت الإضطرابات والحوادث منها حوادث درقاوة التي جَرَّتْ البلاد إلى فوضى كبيرة، فقد عانا أبو راس الناصري من حملة أوريقى وحملة اللورد أكسموت الأوروبيين على الجزائر، وما تجدر إليه الإشارة وهو أن أبا راس من مجموع العلماء المسلمين الذين دعموا النظام العثماني وسلاطينه بالجزائر، إشتغل شيخنا بالتدريس وتولى القضاء وإستمر حوالي سنتين، حيث بلغ من شهرته أن إجتمع عليه أحيانا أكثر من 780 طالبا وهذا ما جعل أمراء البلاد يخصصون له كرسيًا يستعين به على الدروس التي كان يلقيها لإزدحام الناس عليه ، وقد رشحه شيخه عبد القادر المشرفي ليكون خليفة له في الدرس، وكان يكتسب من هذا التدريس الأجر والرزق.⁽¹⁾

وما يمكن الإشارة إليه أيضا أن الحياة الإجتماعية و الإقتصادية في الفترة العثمانية كانت مضطربة بإضطراب النظام السياسي، وهو ما أدى إلى سوء الأحوال الإجتماعية وتدني المستوى المعيشي للمجتمع العسكري بمختلف طبقاته بسبب إنتشار الأوبئة والأمراض الفتاكة؛ كالتاعون الذي أودى بحياة الكثيرين من السكان على إختلاف طبقاتهم وكان الشيخ أبو راس الناصري أحد ضحايا هذا الوباء، إلى جانب إنتشار الفقر والمجاعة الذي كان لهما الأثر الكبير في زيادة معاناة المجتمع في معسكر، إضافة إلى خسائر ومنها خسارة العلماء.⁽²⁾

كما كان لغلاء الأسعار تأثيرا كبيرا على الحياة الإقتصادية و على المجتمع و المنطقة معا ، فكانت مداخل الدولة العثمانية من معسكر ضعيفا جدًا بعد ما كانت مزدهرة قبل ذلك

⁽¹⁾ ينظر: رايح خدوسي، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، فرنسا، ط1، 2008، ص 19- 20 .

⁽²⁾ ينظر: عبد عون الروضان ، شعراء العرب في القرن العشرين حياتهم شعرهم أثرهم ، الجزائر ، ط1 ،

2005 ، ص 473 .

إننا نقف على نسب أبي راس بالرجوع إلى سيرته الذاتية المسماة فتح الإله ومنتته في التحدث بفضل ربي ونعمته، قمتها يقول (فأنا عبد ربي محمد أبوراس بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن الناصر بن علي بن العظيم بن معروف بن عبد الله بن عبد الجليل)⁽¹⁾

وأن هذا النسب متصل إلى عمرو بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى السبط، بن علي بن أبي طالب، وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أما والده الشيخ أحمد فكان من القراء الماهرين والأساتذة المشهورين بالصدق والصلاح، ومن حفظة القرآن الكريم وحامله ويعد من بين الأتقياء الوارعين الصالحين، وأما جدُّه فهو الشيخ عبد القادر الذي انقادت إليه أزمة ذوي الأقدار والمقادير، وقد ساد في رسم القرآن الكريم على طريقة المشاركة، وأمه (زولة) التي عرفت بالعفة والشرف والطهارة وقد وصفها برابعة العدوية، ولقد أكد أبوراس على شرعية نسبه بإنتمائه الحسيني ونسبه النبوي، ذلك النسب الذي ترفع الرؤوس به، ويعلو الشأن به، فقد إمتاز نسبه بالعلم ومن حفظة القرآن وتأكيد على ذلك أن نسبه من نسب الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام⁽²⁾

المطلب الثاني : الحياة العلمية.

مما سبق ذكره عن العلامة فقد كانت حياته المليئة بالمعاناة والصعاب والحرمان ومرارة العيش منذ الصغر حافزا كبيرا في مسيرته العلمية، إن هذه المعاناة من فقدان الوالدين والفقر ... من شأنها تكوين شخصية متكاملة الجوانب لها وزنها العلمي والمعرفي ولقد صادف محمد الناصري عهد الباي محمد الكبير، الذي انتعشت فيه الحياة العلمية قليلا، فقد حماه وقربه الشيخ عبد القادر المشرفي الذي اكتشف فيه الذكاء والفطنة والنبوغ، بما إمتاز به من حافظة نادرة وتعطش للعلم، فتتلمذ عليه

⁽¹⁾ ينظر: عبد عون الروضان، شعراء العرب في القرن العشرين، المرجع السابق، ص 302 .

⁽²⁾ ينظر: محمد أبوراس الناصر ، لقطه العجلان ، تح حمداود بن عمر ، الجزائر ، ط2 ، 1433 هـ - 2012م، ص

وتأثر به، ولازمه مدة كبيرة كان خلالها يغسل ثيابه وثيراب أهله، ولما شعر بشيء من الاستقلال العلمي خرج إلى الريف وبدأ التدريس، ثم تولى القضاء، وقد بقي على هذا الحال سنتين كاملتين تبين له خلالهما أن آفات العلم في الريف، بادية فانتقل من جديد إلى مدينة معسكر كي لا يذهب علمه سدى⁽¹⁾ يقال إنه كرس نفسه للتدريس ليلا ونهارا وداوم 36 سنة⁽²⁾ وقد رشحه الشيخ المشرفي إمام الراشدية التي كانت تعد ملجأ العلماء والفقهاء وذوي العلم النابع، ليكون خليفته في التدريس، كما خصه بايات الغرب الجزائري بعناية وأجروا عليه جرايات يستفيد منها في مهماته التعليمية وعرف عن أبي راس أنه كان يلقب بالحافظ لضلوعه في شتى علوم عصره ولقوة ذاكرته التي أبهرت العلماء الذين ناظروه في مسائل فقهية وقضايا نظرية وعقائدية فقد كان إن سئل إلا وأجاب، ولم تكن له أية صعوبة في حل المسائل سواء متعلقة بالفقه أو بأصول الدين لوجود حافظة متعطشة بالعلم و وفيرة⁽³⁾

وللتعرف أكثر على هذه الشخصية نبين كيفية جمعه للعلم وذلك من خلال رحلاته العلمية، فقد خصص أبوراس الجزء الثاني والثالث في كتابه فتح الإله ومنتته في التحدث بفضله ربي ونعمته لرحلاته وشيوخه الذين أزالوا عنه قشب أو ساخه، أما الباب الثاني فتعرض فيه إلى رحلاته وعنوانه تحت اسم (رحلتي للمشرق والمغرب وغيرهما ولقاء العلماء والأعلام وما جرى لي معهم من المرجعية والكلام....)⁽⁴⁾

وبذلك نجد أن أباراس قد امتدت رحلاته عبر الجزائر والمغرب وتونس ومصر والشام والحجاز والتي التقى خلالها بأكابر العلماء و الفقهاء ، وهي مرحلة علم واستطلاع لأخذ العلم من هؤلاء بمصاحبتهم ومجادلتهم، ولقد إنقسمت رحلاته الى قسمين: رحلات علمية داخل الجزائر وأخرى خارجها؛ فمن رحلاته العلمية داخل الجزائر حاضرة معسكر باعتبارها المسيرة

(1) ينظر: محمد أبي راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تح محمد عالم، الجزائر، ج 1، ص 2، ط 1، 2005، ص 25-26 .

(2) ينظر: محمد أبو راس الجزائري، فتح الإله و منتته بفضله ربي و نعمته ، المرجع السابق، ص 15 .

(3) ينظر: أبو القاسم سعد الله ، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر ، الجزائر ، ج 2 ، ط 1، 2007م ، ص 303 .

(4) ينظر: محمد ابوراس الجزائر ، فتح الإله ، المرجع السابق ، ص 91 .

العلمية الأولى على يد عالمها الجليل آنذاك عبد القادر المشرفي الذي درس عليه أبو راس ألفية بن مالك على شرح المكودي، والتي جعل لها حاشيتين صغرى وكبرى كما قام بانجاز تأليف عند إتمام الدراسة؛ والذي يعرف في عصرنا الحالي برسالة التخرج، وكان مؤطره في ذلك دائما الشيخ المشرفي الذي كانت شهرته العلمية واسعة النطاق، ثم انتقل ابوراس بعدها إلى القيطنة لمزاولة تعليمه، ثم إلى البرج وبعدها إلى غليزان ومن ثم انصرف إلى مازونة حيث مكث حوالي ثلاث سنوات وقد وصلها أول صومه، ليرجع بعدها إلى معسكر ليكرس نفسه للتدريس، ثم أراد الرحيل إلى الجزائر العاصمة سنة 1789م تعرف خلالها على علماء وشعراء وكتاب، والتقى بمفتيها الشيخ محمد بن جعدون وكذلك فقيها الشيخ محمد بن مالك، فبذلك جمع ابوراس الكثير من العلم في الجزائر.⁽¹⁾

أما بالنسبة للرحلة العلمية خارج الجزائر فهي تتسم بالتنوع والأهمية البالغة في تكوين أبي راس وتوجيهه العلمي المحض، فكانت البداية من فاس وهي رحلات متنوعة ومتواصلة لطلب العلم والمعرفة وكان ذلك عام 1801م، ولقد حج مرتين، كانت حجته الأولى سنة: 1789/1204-1790، أما الحجّة الثانية فكانت سنة 1811/1226، ومن خلال هاتين الحجّتين جمع العديد من المعرفة والعلم في مكة والمدينة وازداد ثقافة وفطنة، ولم تكن رحلته إلى هذه الديار للتحصيل العلمي كما يعتقد بعض الباحثين بل للمناظرة والتفاوض حول المسائل العلمية، والقضايا الدينية فالمنظرات العلمية كان الغرض منها في نظر أبي راس التأكيد على نباهته وتفوقه في علوم عصره، وقد استفاد من هذه الرحلات العلمية استفادة جليّة جعلته من أبرز العلماء والمثقفين والفقهاء البارزين.⁽²⁾

وشهد في المشرق حدثين بارزين، الأول أنه دخل مصر قبل الحملة الفرنسية في الحجّة الأولى، ودخلها بعد هذه الحملة في الحجّة الثانية والتقى بعلمائها، ورأى آثار الحملة ولعله قد تأثر بها، أما الحدث الثاني فهو الحركة الوهابية التي روى عنها أشياء في رحلاته وتناظله مع بعض مؤيديها وعرض بهم، ومن الشخصيات السياسية التي أحدثت انقلابا في حياة أبي راس الناصر

(1) ينظر: أبوراس الناصر، لقطة العجلان، المرجع السابق، ص 15-16

(2) ينظر: أبو القاسم سعد الله، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 300.

محمد الكبير باي مدينة معسكر، ثم مدينة وهران بعد فتحها، وقد أنعم هذا الأخير عليه وقدر علمه وخصه أبو راس من جهته بالشعر والدعاء والتأليف ويقال إن أبو راس كتب العديد من القصائد مدح فيها باي مدينة معسكر وترك له أثرا في حياته، كالتى تركها شيوخه ومن أخذ منهم العلم.

شيوخه:

لقد أخذ أبو راس محمد الناصري عن العديد من العلماء وتلمذ على كثير، فكان أول شيوخه والده الشيخ أحمد الذي قرأ عليه شيئا من سورة البقرة وأول بدئه من سورة الانفطار، فذهب به أخوه إلى الشيخ علي التلاوي الذي قرع رأسه ذات مرة، لأنه لم يحسن كتابة حرف الفاء ولما أتم القرآن جمعا الشيخ منصور العزيز صاحب القراءة المتقنة و الأحكام الموقنة ، فأتقن له القراءة ، ثم لازم الجزري ليفيد منه فن القراءة والتجويد، وكذلك القاضي محمد بن مالك والحاج علي بن الأمين مفتي مدينة الجزائر ومحمد الصادق أفغول(شيخ الإسلام الحافظ الزاهد)، وأحمد بن نافلة ومحمد بن جعدون (قاضي مدينة الجزائر) والقاضي محمد بن عبد الرحمان التلمساني والمفتي أحمد بن عمار، وعبد القادر بن السنوسي بن دحو الملقب بالحافظ، والمفتي محمد بن الحفاف والحاج محمد بن الشاهد الذكان(عالم الجزائر وقطب رحاها، فقيها، علامه، حافظا، بارعا، نظارا، مفتيا، مدرسا، محققا ...) ومحمد الفقون، والحاج علي السنوسي الشهير بالحفظ والفقه والتدريس، ومشى مع الشيخ أحمد العباسي الذي كان واسع العلم فصيح القلم ... أرقى الناس طبعا، ولقي بتونس محمد بن المحجوب، وصالح الكواش، وإبراهيم الرياحي وأحمد بيرم، وبذلك نجد أنا أباراس قد أخذ العلم على كثير من العلماء وارتقى إلى أعلى المناصب وصار من متزلة شيوخه ومعلميه تبارك الله وتعالى، وأصبح شيخنا يلقب بالعالم والفقيه والمدرس والمفتي وكلها أسماء تنطبق عليه وعلى مكانته.⁽¹⁾

إضافة إلى شيوخه نذكر منهم أيضا علماء مصر خاصة ، الشيخ مرتضى الزبيدي و عبد الله الشرقاوي، ومحمد الأمير، وقد ذكر علماء المشرق والمغرب منهم: عبد الرحمان التادلي، وعثمان الحنبلي، وعبد الملك القلعي، وعصمان وممن أجازه من علماء مصر خاصة الشيخ مرتضى الذي

(1) ينظر: الشيخ عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، بيروت، ج3، ج4، ط6، 1983م ، ص 543 .

وصفه بالحافظ، وقد جمع أبو راس ما درسه على الشيخ مرتضى في كتاب بعنوان (سيف المنتضي فيما رويته بأسانيد الشيخ مرتضى)، وأجازه عبد الله الشرقاوي وأطلق عليه إسم شيخ الإسلام كما أجازه الشيخ محمد الأمير الذي قال عنه أبو راس أنه كان مازونيا نجارا مصريا منشأ ودارا وفي الإسكندرية شاعرها محمد المسيري، ويبدو أن الشيخ مرتضى كانت له مكانة بارزة لدى أبي راس فقد درس عليه أثناء ذهابه إلى الحج، ثم أثناء عودته منه سنة 1205 هـ قبل وفاته خمسة أشهر وكتب إلى الباي السويس في شأن أبي راس (وروى هذا أنه جرى بينه وبين شيخه مرتضى حكايات ونوادير ومفاكهة ومباحث في علوم الحديث والتاريخ وكان ذلك قبل الإجازة التي تحدث عنها)⁽¹⁾

وان أبو راس يساجل العلماء وينظرهم ويحيب على أسئلتهم وقد ذكر في ذلك وقائع ومباحث جرت له معهم سواء في الجزائر أو في تونس أو مصر أو غيرهما من البلاد التي زارها.

والأسئلة التي وجهت إلى أبي راس و أجوبته عليها تدل على أهميته لدى معاصريه من جهة وشهرته وكفاءته الفقهية من جهة أخرى ، فقد ذكر أنه سئل بالتبسة عن قول الغزالي : ليس في الإمكان أبدع مما كان، وسئل بالشام عن أصعب مسألة في التوحيد و .بمكة عن أصل كل علم وما سبب تدوينه، وسئل بمصر عن التكوين و بالقدس عن الوجدانية و التوحيد و بالمدينة عن العقائد، وبغزة عن ما تكلم فيه العلماء من الكفر إلى القطبانية ، و سئل بتونس عن من إنتقل من مذهب إلى مذهب آخر ومن إنتقل إلى الإجتهد.

وقد كانت إجابته تعتمد على العقل والنقل، وروي عن الشيخ أبي راس أنه كان يلقب بالحافظ لضلوعه في شتى علوم عصره، ولقوة ذاكرته التي أجهرت العلماء الذين ناظروه في مسائل فقهية وقضايا نظرية وعقائدية، ونذكر منهم عالم مدينة الجزائر المحروسة وعلماء فاس بالمغرب

⁽¹⁾ ينظر: يحيى بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، بيروت، لبنان ج2، ط1 ، 1995م

الأقصى وأستاذه محمد الأمير نزيل القاهرة، وغيرهم من العلماء والفقهاء، أخذ أبو راس العلم من العلماء حيث استفاد منه وأفاد، وقد صارت له مكانة ومترلة خاصة بين أهل العلم والعلماء وعرف عنه أنه كان كثير الاطلاع، ويعتبر من أهم المؤلفين في الجزائر العثمانية، وأن تنوع موضوعات كتبه يدل على تنوع ثقافة وغزارة مادته، وأنه على دراية كبيرة بالتحليل اللغوي والأدبي و التاريخي على وجه الخصوص ، فكانت حياته مليئة بالعلم والمعرفة تتخللها مناظرات ونقاشات مع سائر علماء الأنصار.⁽¹⁾

-ومن تلامذته الذين أخذوا العلم واستفادوا منه :

* الشيخ أبو حامد العربي المشرفي، الشيخ العربي بن السنوسي .

* الشيخ محمد السنوسي 1202هـ / 1276، الشيخ محمد المصطفى .

* الشيخ محمد المصطفى بن عبد الله 1215هـ / 1800 م .

* الشيخ عثمان الموسوي الهزاري تـ 1238، الشيخ عبد القادر بن السنوسي .

* الشيخ بن القندوز تـ 1222هـ ، الشيخ بن تكوك 1218-1307هـ — 1803-1890م،

الشيخ السنوسي ، الشيخ عبد القادر الهزيلي .

* الشيخ محمد بن الخضير تـ : 1292هـ، الشيخ أحمد الدايج .

* بن عبد الله سقاط المشرفي، الشيخ بن الشنين، الشيخ محمد بن يوسف الزباني، محمد علي

السنومي، ومن صغار تلامذته:

فخر الجزائر الأمير عبد القادر.⁽²⁾

وعن مؤلفاته قيل إن ما ألفه بلغ نحن 63 كتابا، ونسب إليه 137 مصنفا في مختلف الأغراض بين كبير و صغير وبين تأليف و شرح و تلخيص منها ما نشر ومنها ما زال محفوظا ومنها ما يعتبر في الحكم المفقود.

⁽¹⁾ ينظر: أبو القاسم سعد الله ، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ، ص 310 .

⁽²⁾ ناصر الدين سعيدوني ، دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر، العهد العثماني، الجزائر ، ط1، 1985، ص 251.

ففي علم التفسير وعلوم القرآن مثلا كتاب مجمع البحرين في ثلاثة أسفار، وتقي على نظم الخراز في الرسم، والدرر اللوامع .

و في الحديث: كتاب مفاتيح الجنة و أسناها في أحاديث اختلاف العلماء في معناها، والسيف المنتضي فيما رويت بأسانيد الشيخ مرتضى، والآيات البينات في شرح دلائل الخيرات.

وفي الفقه: حاشية عقد الحواشي على جيد شرحي الزرقاني والخرشي في ستة أسفار، المدارك في ترتيب فقه الإمام مالك، والأحكام الجوازل في نبد من النوازل.

وفي علم الأصول : تشنيف الأسماع في مسائل الإجماع، وحاشية على شرح المحلى لمجمع الجوامع وقاصي الأوهاد في مقدمة الاجتهاد .

وفي علم الكلام والتوحيد: كفاية المعتقد وذكاية المنتقد، وهو شرح العقائد الكبرى للإمام محمد بن يوسف بن السنوسي، وأنوار البرجيس بشرح عقيدة الجمان النفيس لأبي زيد عبد الرحمان التجيني.

وفي التصوف: الزهر الأكم في شرح الحكم أو فتح الإله في التوصل إلى شرح حكم ابن عطاء الله ، كتاب الحاوي لنبد التوحيد والتصوف والأولياء و الفتوى .

وفي النحو: الدرّة اليتيمة، الحاشية الكبرى على شرح المكودي، نفي الخصاصة في إحصاء تراجم الخلاصة⁽¹⁾

وفي اللغة : كتاب ضياء القابوس على كتاب القاموس، وله ضابط اختصره من الأزهري على قواعد القاموس والجوهري .

وفي الأدب: البشائر والإسعاد في شرح بنات سعاد ونيل الأرب في شرح لامية العرب

وفي علم البيان: كتاب الأمانى على مختصر سعد الدين التفتزاني .

⁽¹⁾ ينظر: أبي راس الناصر ، لقطه العجلان، المرجع السابق ، ص 42 - 43 .

وفي المنطق: كتاب القول المسلم في شرح السلم .

وفي العروض: شرح مشكلة الأنوار التي يكاد زيتها يضيء ولو ما لم تمسه نار.⁽¹⁾

وفي التاريخ منها: زهرة الشمارخ في علم التاريخ درء الشقاوة في حروب درقاوة، الوسائل إلى معرفة القبائل.

-الحلل السندسية في شأن وهران و الجزيرة الأندلسية ... وهو أصل قصيدة تاريخية.

-ما رواه الواعون في أخبار الطاعون، حلتي ونحلي في تعداد رحلتي .

-فتح الإله و منته في التحدث بفضل ربي وعمته ، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ذيل القرطاس في ملوك بني وطاس، الزمردة الوردية في الملوك السعدية، مروج الذهب في نبذة من النسب و من الشرق انتمى وذهب .

-الخبر المعلوم في كل من اخترع نوعا من أنواع العلوم .

-الغرض (أو الخبر) المعرب عن الأمر المغرب عما وقع بالأندلس وثور المغرب، وهو الشرح الثاني للحلل السندسية، روضة السلوان المؤلفة يبرس يتطوان، وهو الشرح الأول للحلل السندسية تحفة الإخوان في آرهاط وقبائل الجان .

- القصص الفتاة في ذكر البربر و زناة .

- الزهرة السموية (؟) في أخبار الملوك العلوية.⁽²⁾

<فتح الإله و منته في التحدث بفضل ربي و نعمته اقسامه منهجه>>

(فتح الإله و منته) قسمه أبو راس إلى خمسة أبواب ، بحيث تحدث في الأول عن مرحلة الطفولة والتعلم وحالة الأسرة وزواجه وحجته وتحدث عن حرمانه والفقر الدنيوي الذي أصابه.

⁽¹⁾ينظر: أبو القاسم سعد الله ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، ج2 ، المرجع السابق، ص 299 .

⁽²⁾المرجع نفسه ، ص 300.

وتحدث في الباب الثاني عن شيوخه الذين تتلمذ عليهم واستفاد منهم من علم وفطنة وذكاء، والعلماء الذين ناظرهم أو التقى بهم أو حاججهم وابتدأ من والده ومرور بعلماء الجزائر والمغرب وتونس ومصر والحجاز والشام وخص الباب الثالث برحلته إلى المشرق وغيره، ولعل هذا الباب هو الذي أطلق عليه أحيانا اسم (رحلتي ونحلي في تعداد رحلتي) مما جعل بعضهم يذكره وكأنه كتاب خاص برحلات أبي راس، وتناول في الباب الرابع الأسئلة التي وردت إليه أو ألقيت عليه أثناء تنقلاته، كما ذكر الأجوبة عليها أما الباب الخامس فقد ذكر فيه تأليفه مرتبة حسب موضوعاتها ومادتها.

وآخر تاريخ أشار إليه أبو راس في فتح الإله و منته 1227 وهي السنة التي عاد فيها من الحج للمرة الثانية، إن كتاب فتح الإله يعد ترجمته شخصية وافية لأبي راس، فمنه نعرف أشياء كثيرة عن نفسه وأحوال عصره و ترجم له عدد كبير من العلماء المعاصرين له سواء كانوا أساتذة له أو زملاء ، هو كتاب غني بالأخبار لا عن الجزائر وحسب ولكنه تناول أيضا بعض وقفات عن بلاد الإسلام و لقد قلد أبوراس في فتح الإله قدوته عبد الرحمان السيوطي الذي هو أيضا ألف كتاب يحمل عنوانا شبيها بالعنوان السابق وهو (نزول الرحمة في التحدث بالنعمة)، لكن أبا راس لم يقتد بالسيوطي في التأليف والحديث عنها فقط، بل إنه اقتدى به في كونه عاش فقيرا مثله في ابتعاده عن الأمراء وأصحاب السلطة.⁽¹⁾

⁽¹⁾ ينظر : محمد أبوراس الناصر، فتح الإله و منته، المرجع السابق ، ص 6 - 7 .

وفاته :

لقد كانت وفاة العلامة أبي راس الناصر يوم 15 شعبان من سنة ثمان وثلاثين ومائتين وألف هجرية 1238هـ / 1223 عن عمر يناهز التسعين سنة ولقد صلى عليه خلق كثير من الناس يؤمهم تلميذه أحمد الدايج الملقب بالخرشي الكبير عند الراشدية، وقد أحصاهم بعضهم بـ: ألف وخمسمائة 1500 نسمة، دفن قرب داره بعقبة بابا علي بمعسكر أين ضريحه حيث أقيمت عليه بناية قائمة إلى اليوم هي مزار للناس.

يرجع الكثير من المؤرخين سبب وفاته إلى مرض الطاعون الذي كان منتشرًا في سنة 1823م / 1215هـ استنادًا إلى ما ذكره الشيخ مسلم عبد القادر: (ومات به خلق كثير من العلماء ومن بينه الشيخ العلامة الكبير أبو راس الناصر).

ولاتزال ذريته موجودة، ونسله لم ينقطع سواء من جهة أبيه أو أمه، فمن جهة أبيه ذريته حفيده أبو راس المازوني بنواحي معسكر.⁽¹⁾

وبذلك نكون أمام شخصية تعتبر علامة فارقة في تاريخ الأدب الجزائري والعلوم الأخرى، بما تمتاز به من سمو الأخلاق، والعفة والطهارة والصدق ورفعة الأدب، وعمق الفكر... فرحمه الله ورضي عنه وجعله في حوار الأنبياء والصالحين .

المبحث الأول: الحياة الاجتماعية والعلمية للشاعر أبي راس محمد الناصري.

⁽¹⁾ ينظر: أبي راس الناصر ، لقطة العجلان، المرجع السابق ، ص 120 .

المطلب الأول: الحياة الاجتماعية .

ليس من السهل أن نترجم لشخصية من شخصيات الأدب الجزائري القديم خاصة عندما يتعلق الأمر بالفترة العثمانية التي عرفت ببروز العلماء والفقهاء فيها؛ ومن بين هؤلاء الذي تطرقنا إلى دراسته أبو راس محمد بن أحمد بن الناصر الراشدي الذي ولد عام 1150 هـ - 1737م بقلعة بني راشد قرب مدينة معسكر بالغرب الجزائري بين جبل كرسوط وهونت في منتصف القرن الثاني عشر هجري، وله أخوان وأخت فالأخوان هما السيد عبد القادر والسيد بن عمر وهو الأخ الأكبر له وأخت اسمها حليلة، ولذا فإن مولده يعد بمثابة إشعاع علمي ظهر بمعسكر خصوصا وبالجهة الغربية عموما.⁽¹⁾

ولقد عاش أبو راس حياة متقلبة عرفت بالغنى في التجارب الحياتية مع ماصاحبها من فقر دنيوي، بحيث ذاق مرارة الجوع وألم اليتيم؛ لأن أبا راس فقد والدته وهو صغير والمسماة (زولة) بسهل متيجة أين استقرت بها عائلته وبذلك انتقل به والده الى منطقة (مراجعة) وهناك تزوج والده بعدة نساء، ولم يرض أبوا راس بديلا بوالدته ، فهجرهم إلى أن توفي والده وهو في سن الثامنة من عمره بمكان يعرف (بأم الدروع)، وهناك عاش اليتيم الحقيقي ولم يجد من يكفله إلا أخوه عبد القادر.⁽²⁾

وبذلك تدهورت حياة أبي راس؛ حث مارس الشحاذة، ومشى بين الناس أكثر من عشر سنوات حافي القدمين، عاري البدن، وغسل ثياب غيره، وفل القمل، فذاق شظف العيش والجفاف العقلي، عُرف أنه كان متوسط القامة، نحيف الجسم، أبيض البشرة، خفيف اللحية، صغير العينين، طويل الأنف، نحيفه، كبير الرأس، سكن في خيمة تدعى بخيمة شعر وهناك تزوج بإمرأة من أولاد الشيخ محمد بن يحيى، واستقر بمعسكر ليشق طريقه وسط علماء ضعاف النفوس، يتقاتلون على الفتات، إن العصر الذي عاش فيه أبو راس الناصري هو آخر العهد العثماني بالقطر

⁽¹⁾ ينظر: محمد أبو راس الجزائري، فتح الاءله ومنتهفي التحدّث بفضل ربّي ونعمته، تح، عبد الكريم الجزائري، الجزائر ، ط1، 1990 ، ص 5 ، 6 .

⁽²⁾ ينظر: أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج2 ، الجزائر 2007 ، (د ط) ، (د ت) ، ص 86 - 87 .

الجزائري على وجه العموم ومنطقة معسكر على وجه الخصوص أي: نهاية القرن 18م وبداية القرن 19م، فأبوراس وبجكم مجاورته للسلطة العثمانية كان يشعر بهذا الخطر، فالتحرش الإسباني بالمغرب الأوسط كان ضمن الرهانات التي أثرت في محتوى الأعمال.⁽¹⁾

إن إنتقال عاصمة الغرب الجزائري من مازونة إلى معسكر سنة 1115 هـ / 1701م كان له بالغ الأثر في شخصية أبي راس خصوصا ماكان يحكيه له شيخه عبد القادر المشرفي المعاصر لتلك الأحداث، أي الأحداث التي أدت إلى سقوط وهران سنة 1501م في يد الإسبان، فقد هزت هذه الأحداث في نفسية أبي راس، وأعتبر ذلك خطوة لصالح النصارى ضد المسلمين بعدما استولوا على الأندلس سنة 798هـ / 1492م.⁽²⁾

⁽¹⁾ ينظر: محمد بن رمضان شاوشو الغوثي بن حمدان، إرشاد الحائر إلى أثر أدباء الجزائر، الجزائر 1422هـ / 2012م، ج3،

ج4 ، (دط) ، ص 15-16 .

⁽²⁾ ينظر: محمد طمار، تاريخ الأدب الجزائري ، الجزائر 1980م ، (د ط) ، ص 218 .